**وحشيةُ الإسرائيلي... والهُويَّة النازية المستعارة**

02-11-2023 | 00:00 **المصدر**: "النهار"

* **شارك على**
* [fb](javascript:;)
* [tw](javascript:;)
* [whatsapp](https://api.whatsapp.com/send?phone=&text=%d9%88%d8%ad%d8%b4%d9%8a%d8%a9%d9%8f+%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84%d9%8a...+%d9%88%d8%a7%d9%84%d9%87%d9%8f%d9%88%d9%8a%d9%91%d9%8e%d8%a9+%d8%a7%d9%84%d9%86%d8%a7%d8%b2%d9%8a%d8%a9+%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b3%d8%aa%d8%b9%d8%a7%d8%b1%d8%a9%20https%3a%2f%2fwww.annahar.com%2f286085)
* [telegram](https://telegram.me/share/url?url=https%3a%2f%2fwww.annahar.com%2f286085&text=%d9%88%d8%ad%d8%b4%d9%8a%d8%a9%d9%8f+%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84%d9%8a...+%d9%88%d8%a7%d9%84%d9%87%d9%8f%d9%88%d9%8a%d9%91%d9%8e%d8%a9+%d8%a7%d9%84%d9%86%d8%a7%d8%b2%d9%8a%d8%a9+%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b3%d8%aa%d8%b9%d8%a7%d8%b1%d8%a9)
* [messenger](javascript:;)
* [linkedIn](javascript:;)

**نيران ودخان تتصاعد في مدينة غزة خلال غارة جوية إسرائيلية (8 ت1 2023، أ ف ب).**

[**A+**](javascript:zoomText(2);)[**A-**](javascript:zoomText(-2);)

**د. هلا رشيد امون**

لقد أظهر "تيودور هرتزل"، مؤسس الصهيونية العالمية، للأوروبيين، فوائد قيام دولة يهودية على أرض [#فلسطين](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86) العربية قائلاً : "ستكون هذه الدولة حِصناً متقدماً للحضارة الغربية في مواجهة البربرية الشرقية". ولكنَّ الواقع، أن الحركة الصهيونية قد أنشأت كياناً سياسياً مذهبياً أصوليا عنصريا استيطانيا بربرياً على أرض فلسطين، عبر ممارسة أقصى أنواع العنف المادي والرمزي على أهلها منذ 75 عاماً.

هذا الكيان تلقى ضّربة موجعة بعد عملية "[#طوفان الأقصى](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%b7%d9%88%d9%81%d8%a7%d9%86+%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%82%d8%b5%d9%89)"، أسقطت ابرز السرديات ال[#إسرائيل](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84)يّة، وعلى رأسها سردية تفوّق اليهودي على العربي، وسردية الجيش الذي لا يُقهر والقادر بنفسه وبتفوقه العسكري والتقني على سحق أعدائه وردعهم وترهيبهم . وهذا ما يُفسّر الهجوم العسكري الهستيري، والوحشية المُطلقة التي تُمارسها حكومة بنيامين نتنياهو على الفلسطينيين، بهدف ترميم "نرجسيةٍ" محطمة، وتأكيد "شرعيةٍ" مهددة، وتثبيت "هُويَّةٍ نازية" مستعارة .  
  
ولكن ما هي مصادر ومرتكزات هذا العنف والتوحش الاسرائيلي ؟  
لقد قامت دولة اسرائيل على تصوّرِ رجعي وقبلي للدين، يتمثل في أسطورةٍ مفادها أنَّ الاله قد أعطى "شعبه المختار" صكَّ الملكية والحقَّ في أن يتخذ من أرض الميعاد وطناً دائماً له. والتلمود يغصُّ بالنصوص التي تعمِّق فكرة الوعي العرقي ومقولة الجنس المتفوّق لليهودي على كل "الأغيار" من البشر . وفي هذا تأصيلٌ وتأكيد لنزعة العنف الاسرائيلي المؤسَّسة على التمييز والإستعلاء العرقي والعنصري لليهودي على بقية شعوب الأرض. و"التطهير العرقي" الذي يمارسه اليهود الصهاينة اليوم على الفلسطينيين لإنتزاع أرضهم وتهجيرهم، إنما يستلهم التفسير الحرفي لبعض المأثورات من العهد القديم، ولاسيما في سِفري "الخروج" و"التثنية"، حيث يظهر من ضمن قواعد الحرب التي يسنُّها إله اليهود، مفهوم "التطهير العرقي" الذي يلغي حقَّ "العدو" أو الخصم في الوجود، باعتباره فرضاً أوجبه الله عليهم، حفاظاً على النقاء العرقي، وليس كإجراء تستلزمه الضرورات السياسية. وفي هذه الأيديولوجيا التلمودية والتوراتية تكمن معظم مبررات العنف الديني والسياسي وجرائم الحرب والانتهاكات والفظائع التي مارستها الدولة الإسرائيلية في فلسطين ولبنان.  
  
والى جانب الموروث الديني التوراتي الذي استغلته الحركة الصهيونية الملحدة لإنشاء دولة دينية، تناولت بعض الدراسات النفسية ظاهرة المجتمع الإسرائيلي الذي يتعيّش أفراده على إستدامة الحرب، وسلطت الضوء على بعض الأعراض المَرَضية الخطيرة التي يمكنها تفسير الاسباب التي جعلت المجتمع الاسرائيلي يتصف بصفات المجتمع العنفي العدواني المتبلد انسانياً والمصاب بالعمى الأخلاقي،الذي يستسيغ أفراده استخدام القوة المفرطة ضد أعدائهم، ويمارسون القتل والتدمير والتهجير وجرائم "الإبادة الجماعية" بكل صلف وسادية ووحشية بعيداً عن أي ضوابط أخلاقية أو إنسانية أو قانونية.  
  
ومن الثوابت في علم النفس التحليلي، أنّ تفسير أيّ سلوكٍ - سليماً كان او مرضياً - إنما يرجع الى نمط علاقة الفرد بالآخرين، أي نمط بناء الشخصية، وهذا يرجع في نهاية الأمر، الى ما يُطلق عليه إسم "هُويّة الذات" أو "هُويّة الأنا" التي هي نتاجُ عمليات "التوحّد" مع الآخرين الذين يتصل بهم الطفلُ إتصالاً وثيقاً إبتداءً من الشهور الأولى في الحياة، وحتى سن النضج .  
  
وقد انطلق المحللون النفسيون من فرضية أنّ الأطفال اليهود الذين أُلقيَ القبض عليهم مع ذويهم في كل أنحاء أوروبا، وأُودعوا لفترةٍ طويلة في المعتقلات النازية الشهيرة "أوشفتز" و"بوخفنالد"، أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أُفرج عمَنْ تبقّى منهم على قيد الحياة بعد هزيمة النازية - قد توحّدوا مع جلّاديهم النازيين . وبعد اطلاقهم ظهرت على هؤلاء الاطفال إضطراباتٍ نفسية مَرَضية : تخديرٌ وجداني (إنعدام الإستجابة العاطفية لدى بعض المرضى العقليين) نقصٌ في الحسّ الإجتماعي والأخلاقي يشبه مرض البارانويا (توهّم الإضطهاد لدى المرضى العقليين) وغيرها من العوارض البارانويّة الفصاميّة .  
  
بعد قيام دولة إسرائيل القلعة الحصينة للغرب على أرض فلسطين، استطاع ضحايا أفران الغاز الهتلريّة وخرّيجو المعتقلات النازية، إستعادة توازنهم، عندما أصبح هذا "التوازن" في المجتمع الإسرائيلي "تنظيماً" للتوحّد مع المعتدي، مكَّن الإسرائيلي المغتصب لأرض الغير من التغلّب على الخوف من أعدائه العرب، ومنحه "المشروعية" في الإنقضاض عليهم والفتك بهم على الطريقة النازية (بالمعنى النفسي) دون أي شعورٍ بصراع نفسي أو بوخز الضمير .  
وقد أفرز المجتمعُ الإسرائيلي قياداتٍ إجرامية توحَّد بها الشعبُ والجيشُ معاً . وهذا التوحّد مع القائد يمكن تلخيصه بإسناد كل وظائف "الأنا الأعلى" - أو الضمير الشعوري الذي يقوم بالضبط والربط داخل النفس - الى القائد الذي عن طريقه يتمّ توحّد "الأنا الفردي" لدى كل فرد، بغيره من الأفراد .  
  
وأبرز هذه القيادات التي تمثّل نموذجاً صارخاً في التوحّد مع المعتدي من القتلة النازيين، هي شخصية مناحيم بيغن الذي كان يتزعّم عصابات "الأرغون" التي ذاع صيتها بالفتك بسكان القرى الفلسطينية، رجالًا ونساءً وأطفالاً ؛ وشخصية موشي ديان الذي نجح في تقمّص الروح العسكرية النازية بما تنطوي عليه من صلفٍ وخيلاء وعدوان وغيرها من الصفات ذات الطابع المَرَضي البارانوي؛ وشخصية "آرييل شارون" صاحب السجّل العدواني الأسود في الإجرام، والمسؤول عن إرتكاب عدة مجازر ، وعن قمع الإنتفاضات الفلسطينية ، وتوسيع رقعة المستوطنات اليهودية.  
  
وقد إنتقلت عدوى التوّحد مع المعتدي الى المستوطنين وأغلبية اليهود الذين وفدوا الى إسرائيل من كل أصقاع الدنيا، بواسطة "التعاطف اللاشعوري" مع السرديات والقصص والروايات التي رواها الضحايا الذين عايشوا تجربة "الغستابو" والمعتقلات النازية التي عمل اللوبي الصهيوني في العالم، على المبالغة في سرد أهوالها، وفي تضخيم أعداد الذين قضوا في "الهولوكوست" الذي تحوّلت جرائمه التي ارتكبها الغرب الاوروبي المسيحي - وليس العرب المسلمون - الى أسطورة جديدة من الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية، التي يُحرَّم إنكارها او التشكيك في حدوثها .  
  
وقد أصبح ذلك "التوّحد" الذي اكتسب "شرعيّةً" شعبيةً، الرباطَ الذي جمع شتات المجتمع الإسرائيلي، وأخفى تناقضاته الثقافية والحضارية واللغوية، والذي منح أفراده "شبه هُويّةٍ مستقرّة"، هُويّةً كانوا يفتقرون اليها، وانتزعوها على نحوٍ غير منتظرٍ، وتعلّقوا بها عبر إعلان ولائهم لدولة إسرائيل، وليس لبلدانهم التي يحملون جنسياتها.  
  
وهذا "الولاء" يعني سيكولوجياً "التوّحد" مع أولئك اليهود الذين حصلوا على "هُويّةٍ نازية" كاملة ساعدتهم على التخلص من الصورة النمطية التي كانت سائدةً لعدة قرونٍ في تاريخهم القديم، عن شخصية اليهودي التائه الذليل الخانع المضطهد الذي جرّدته دول الغرب "المتحضِّر" من انسانيته (وصفُ اليهود بالفئران والحيوانات)؛ تلك الهُويَّة التي شرّعت لهم إنتهاج سياسة الغزو والانتقام والقتل الوحشي وارتكاب المجازر ، والإعتداء على العرب وتهجيرهم وترهيبهم ونشر الخوف والرعب في قراهم، حمايةً لأنفسهم من الشعور بالخوف والرعب والقلق الذي هو عنصر أصيل في عملية "التوّحد مع المعتدي" التي من خلالها يثبت اليهود لأنفسهم، انهم لم يعودوا الطرف الخائف المذعور المعتدَى عليه، بل اصبحوا الطرف المعتدي المنتقم الذي يفاخر بجرائمه (هناك فيديو متداول حالياً يظهر فيه بعض اليهود وهم يستذكرون ضاحكين الجرائم التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين)  
  
ومن هنا إكتسبت قضية إرتفاع الروح المعنوية لدى أفراد المجتمع الإسرائيلي أهميةً كبرى، ذلك أنّ إنخفاض هذه الروح ينذر بخطر تحطيم تلك "الهُويّة المستعارة" التي مكّنت الإسرائيليين من أن يتصرّفوا وكأنهم أقوياء. ولهذا السبب يعتبر البعض أنّ "حالة السِلم" هي أشدُّ خطراً من "حالة الحرب الفعليّة" التي يحقق الإسرائيلي من خلالها عدة أهداف، أبرزها: أنها تحرّض يهود العالم على التضامن لحماية الكيان الإسرائيلي من الأخطار التي قد تحدق به؛ وأنّ الإنتصارات التي قد يحققها جيش الاحتلال الإسرائيلي تعزّز نرجسية الإسرائيلي وهُويته الزائفة الهشّة؛ وتؤكد "شرعيّة" وجوده التي يشعر في صميمه، أنه مفتقد اليها على الدوام؛ وتتضمّن "إعترافاً" بتفوّقه على محيطه العربي، بإعتباره "الجلاد" لا الضحية؛ "السيّد" القوي المنتصر، لا الطرف الضعيف الخائف الذي يتمُّ الإعتداء عليه . ولهذا كانت الصدمة عظيمة في اوساط الاسرائيليين في إثر عملية "طوفان الأقصى"، لأنهم شعروا أنَّ "شرعية" وجودهم على أرض الغير باتت مهددةً ومشكوك فيها، وأنَّ "نرجسيتهم" المستندة الى "هُويّة نازية مستعارة" والى أسطورة "الجيش الذي لا يُقهر"، قد تحطمت عندما باغتهم "عدوهم" في عقر دارهم، بضربة "حماسية" مرّّغت أنوفهم في التراب.  
  
طوفان الأقصى بالنسبة الى الاسرائيلي أكثر من "صدمة"، إنه "أزمة وجود" .